الباب الثالث
وسائل الاتصال المسموعة والمرئية التقليدية

يتضمن هذا الباب ثلاثة فصول هي:

الفصل الخامس: تطور السينما التقليدية، وأهميتها ومميزاتها وسلبياتها.

الفصل السادس: تطور الإذاعة التقليدية، وأهميتها ومميزاتها وسلبياتها.

الفصل السابع: تطور التليفزيون التقليدي، وأهميته ومميزاته وسلبياته.

الفصل الخامس
تطور السينما التقليدية
وأهميتها ومميزاتها وسلبياتها(•)

السينما – وهي وسيلة اتصال جماهيرية سمعية وبصرية – تأتي بعد الكتاب والصحيفة، من حيث الترتيب الزمني لتاريخ نشأة وتطور وسائل الاتصال الجماهيرية المهمة التي يتناولها هذا الكتاب حسب خطته الموضوعة .. والمخترع الحقيقي للسينما هو (لويس لوميير)، الذي صنع أول جهاز لعرض الصور السينمائية والتقاطها، وسجل اختراعه هذا في 13 فبراير 1895، وابتداء من هذا التاريخ، أصبحت السينما واقعًا ملموسًا.

وقد شاهد الجمهور أول عرض سينما توغرافي في يوم 28 ديسمبر 1895، وكان ذلك في قبو (الجران كافيه)، أي المقهى الكبير الواقع في شارع الكابوسين في باريس .. وكان البرنامج الأول لهذا العرض عبارة عن عشرة أفلام، يتراوح طول كل منها بين 15 و 20 مترًا، ويستغرق البرنامج نحو عشرين دقيقة .. ولم يكن مخترع هذا الجهاز يعقد آمالا كبيرة على

(•) اعتمدنا في هذا الصدد – بصفة أساسية وبتصرف – على كتاب خليل صابات وجمال عبد العظيم: وسائل الاتصال، نشأتها وتطورها (القاهرة – الأنجلو المصرية، الطبعة التاسعة، عام 2001)، ص 397، وما بعدها؛ وكتاب إلهامي حسن: محمد طلعت حرب رائد صناعة السينما المصرية (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986)، ص 31، وما بعدها؛ وكذلك رشاد كامل: طلعت حرب، ضمير وطن (القاهرة، سوزانا للنشر، 1993)، ص 147 وما بعدها، وبعض المراجع الثانوية الأخرى.
مع ضرورة مراجعة الفصلين الثامن والحادي عشر من هذا الكتاب؛ لصلتهما الوثيقة بهذا الفصل.

نجاحه تجاريًّا .. ومع ذلك لم يمض على العرض الأول ثمانية أشهر، إلا ودخل هذا الاختراع جميع عواصم أوربا. وانتقلت سينما (لوميير) إلى اليابان والهند وأستراليا .. ولم تمص سنة على أول حفلة عرض في باريس، حتى كانت العروض السينمائية تغزو العالم كله.

وفي إطار ذلك ركز الأمريكيون جهدهم للمضي في هذا الاختراع الجديد، وعقد رجال الأعمال العزم على مقاومة المنافسة الأجنبية بكل الطرق الشرعية وغير الشرعية .. وقاد (توماس أديسون) نشأة السينما الأمريكية؛ ففي عام 1891 سجل اختراع جهاز لمشاهدة الأفلام السينمائية، يعمل بوضع قطعة من العملة في ثقب خاص، وكان اسم هذا الجهاز (كينيتوسكوب)، ولكن الإنتاج الصناعي للأفلام بدأ بعد ذلك بثلاث سنوات .. وقبل (أديسون) صنع جهاز العرض الذي اخترعه (جنكنز وأرمات) تحت اسم أديسون فيتاسكوب .. وتم أول عرض عام على شاشة في 23 مارس 1896، أي بعد عرض لوميير بثلاثة أشهر، وكان ذلك في أحد مسارح نيويورك .. ويعتبر هذا اليوم بداية السينما في أمريكا.

ويلاحظ أن السينما في إنجلترا قد انتشرت بسرعة؛ لأنها وجدت المشاهدين الذين يقدرونها، بل ويتلهفون عليها، فأخذت تنمو وتزدهر .. وفي الوقت نفسه كانت فرنسا تحتل مكان الصدارة في عالم السينما، سواء بالنسبة لتوزيع الأفلام، أو لبيع أجهزة السينما .. وكانت أمريكا تغذي سوقها الواسعة، وتتطور بسرعة كبيرة، ومع ذلك ظلت تستورد عددًا كبيرًا من الأفلام الفرنسية. وخلال الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918)، تقدمت أمريكا الصفوف، وأصبحت هوليود عاصمة السينما دون منازع، وارتفع - بالتالي - وتضاعف إنتاج الأفلام، كما اهتمت الصحف بأخبار السينما ونجومها وفضائحهم، وأصبح لكل صحيفة مراسل في هوليود.

وبرزت في العشرينيات من القرن العشرين الماضي أفلام المخرج سيسيل دي ميل، الذي قدم إلى جمهوره ما يتفق وذوقه دون أي اعتبار آخر .. وفي منتصف العشرينيات كان 90٪ من الأفلام السينمائية المعروضة في العالم أمريكية الإنتاج .. وفي أواخر العشرينيات قل الإقبال على الأفلام السينمائية، بعد أن ظهر لها منافسان قويان، هما: الراديو والسيارة، فما كان من الشركات الكبرى إلا أن أخذت تبحث عن وسيلة جديدة، تستعيد بها الأموال التي خسرتها. وقد وجدت ضالتها في أفلام (الفيتافون) والناطقة والغنائية القصيرة. وقد عرض أول فيلم من هذا النوع سنة 1926، ولم يلبث أن مات الفيلم الصامت فجأة في أمريكا، بينما ظل في

أوربا فترة أطول. ويمكن القول إن السينما الناطقة رسخت أقدامها في أمريكا ابتداء من سنة 1928، وتضاعف عدد المشاهدين الذين أقبلوا على الأفلام الناطقة بحماس، وفي بداية الثلاثينيات من القرن العشرين الماضي، أصبح الفيلم الناطق ينتج في كل مكان من العالم..

أما الجريدة السينمائية الناطقة، فقد ظهرت في سنة 1927؛ بفضل الجهد الذي بذلته شركة فوكس، ولاقت الجريدة السينمائية الناطقة إقبالا واسعًا. ومع أن الفيلم الملون كان قد عرف منذ بداية القرن العشرين الماضي، إلا أنه لم يثبت إلا بعد سنة 1929. وابتداء من سنة 1935، أصبحت صناعة السينما في هوليود تمتلك الأموال الضخمة والتنظيم الراسخ والتجربة الطويلة وأصحاب الأفكار الجديدة والمبتكرين اللامعين.

وكل ذلك كان في خدمة وسيلة اتصال جماهيرية سمعية بصرية في قمة نجاحها .. وكانت أهم أستوديوهات ذلك العهد الذي عرف بالعهد الكلاسيكي هي: مترو جولدوين مايرو البرامونت، وفوكس القرن العشرين وأخوان وارنر، وآركي أو ... وكانت هذه الأستوديوهات الكبرى تملك ربع قاعات العرض في الولايات المتحدة. وتأتي بعدها من حيث الضخامة والقدرة شركات: يونيفرسال وكولومبيا، واليونايتد أرتستس، أي الممثلون المتحدون.

وقدمت هوليود في عام 1952 ابتكارين جديدين، هما: السينما البارزة والشاشة ذات الأبعاد الثلاثة، أي السينيراما. ثم أدخلت شركة فوكس الشاشة العريضة أو السينما سكوب سنة 1953. وكذلك الصوت الستريو فوني؛ كل ذلك من أجل انتزاع الجماهير من أمام الشاشة الصغيرة (التليفزيون).

كما بدأت هوليود تنتج أفلامًا قصيرة للتليفزيون، ثم أفلامًا طويلة لتعرض على شاشته الصغيرة أيضًا. وبين سنة 1969 وسنة 1971 حدث تحول مهم في هوليود؛ حيث أصبح لعاصمة السينما في أمريكا بنايات جديدة، وأصبح الإنتاج أكثر استقرارًا .. ولكن الأمور في هوليود لم تسر على هذا المنوال طويلا؛ حيث اشترت شركة سوني اليابانية في أكتوبر 1989 شركة كولومبيا السينمائية في هوليود، تدعيمًا لمركزها في السوق الأمريكية.

السينما في مصر:

لقد تمثلت إرهاصات دخول السينما إلى مصر، في عروض الفانوس السحري في أول الأمر، ثم في الشرائط الصامتة المستوردة والمحلية .. وكان أول فيلم سينمائي عرض في مصر مصنوعًا في فرنسا .. وقد عرض في إحدى قاعات بورصة طوسون بالإسكندرية، مساء يوم الخميس 5 نوفمبر 1896، أما القاهرة فقد عرفت العروض السينمائية بعد الإسكندرية بثلاثة وعشرين يومًا؛ حيث تم أول عرض سينما توغرافي بها يوم السبت 28 نوفمبر 1896، داخل صالة (حمام شنيدر) في عمارة حليم باشا بحي الأزبكية. ويقول أحمد شفيق باشا في كتابه "مذكراتي في نصف قرن، ج، 2، ط 1، القاهرة 1936، ص 232) إن هذا الحمام كان بالقرب من لوكاندة شبرد (بشارع الجمهورية الحالي، والذي أحرق في يناير 1952)، وأطلق عليه اسم "الفوتوغراف المتحرك"، وكانت أجرة دخوله خمسة قروش للكبار وقرشين للصغار.

لقد كانت السينما في مصر في ذلك الحين عبارة عن عروض سينمائية لأفلام مستوردة، يعرضها الأجانب في دور العرض التي يملكونها .. وإلى جوار ذلك كانت هناك بعض المحاولات لعمل أفلام قصيرة، قام بها الأجانب أيضًا .. وأول صور متحركة التقطت في مصر هي التي التقطها (المسيو برومير) مبعوث (دار لوميير) في مدينة ليون بفرسنا، حيث صور مشاهد بالإسكندرية ثم بالقاهرة، وبدأ عرضها في الإسكندرية في 20 مايو 1897.

وبدأت (محلات عزيز ودوريس) بالإسكندرية في 29 نوفمبر 1906 بتقديم أول عروض سينمائية ناطقة قصيرة، باستخدام جهاز (كرونو ميجافون جومون) من باريس، والتي تعتمد على الاستماع إلى صوت أسطوانة متزامنة مع شريط الصورة. أما في القاهرة فقد عرضت (سينما توغراف إكسلسيور) في 22 ديسمبر 1906 أفلامًا قصيرة ناطقة أيضًا بالطريقة ذاتها.

وفي 30 أكتوبر 1917 تكونت أول شركة سينمائية باسم (الشركة الإيطالية المصرية) لإنتاج أفلام مصرية محلية، وساهم في تمويل هذا المشروع (بنك دي روما)، وقامت الشركة ببناء أول أستوديو بجوار حديقة النزهة بالإسكندرية، وأنتجت فيلمين، هما "شرف البدوي"، و "الأزهار المميتة"، مدة عرض كل منهما 40 دقيقة. وفي أواخر سنة 1918، عرض الفيلمان في سينما (سانت كلير) بالإسكندرية، ولم يحققا نجاحًا يذكر، وتكبدت الشركة

خسائر قيمتها 125 ألف جنيه؛ مما جعل (بنك دي روما) يتخلى عن المشروع، وقد فشلت هذه الأفلام؛ بسبب ضعف مواضيعها، وعدم وجود أي رابط بين المناظر المختلفة، إضافة إلى أن الممثلين كانوا من الأجانب.

ثم بدأ بعد ذلك بعض الأجانب أيضًا عمل أفلام قصيرة أخرى في الفترة من سنة 1919 إلى سنة 1925، ونجح بعضها، وفشل البعض الآخر. وفي هذه الفترة لم يظهر في المجال السينمائي أي مصري يعمل في الناحية الفنية، التي كانت وقفًا على الأجانب. إلى أن جاء (محمد بيومي)، الذي درس السينما في أوربا وعاد إلى مصر سنة 1923، وبدأ نشاطه السينمائي كمصور في الفيلم القصير "في بلاد توت عنخ آمون" في العام نفسه. وفي العام التالي 1924 قام (محمد بيومي) بإخراج وتصوير فيلم "الباشكاتب"، وبدأ في عام 1925 عمل فيلم من إنتاجه، وإخراجه وتصويره، وهو فيلم "المعلم برسوم يبحث عن وظيفة"، وأنشأ (أستوديو بيومي) في شبرا، وجهزه بأحدث ماكينات التحميض والطبع التي أحضرها معه من أوربا؛ ليكون هذا الأستوديو بداية مشروعاته الفنية وأعماله السينمائية، ولكن تشاء المقادير أن يتوفى ابنه وهو في السابعة من عمره، وكان يقوم بدور مهم في الفيلم، وكانت الصدمة شديدة على إحساس الفنان، لدرجة أنه أغلق أبواب الأستوديو .. وعندما ظهرت (شركة مصر للتياتر والسينما)، وهي إحدى شركات بنك مصر في عام 1925، وتعتبر أول شركة مصرية لإنتاج الأفلام القصيرة. ذهب محمد بيومي إلى طلعت حرب، وعرض عليه معدات الأستوديو، فاشتراها لحساب شركة مصر، وعين محمد بيومي مديرًا للمعامل ولقسم التصوير بالشركة، وقام محمد بيومي بعمل بعض الأفلام القصيرة التسجيلية والدعائية والإعلانية لبنك مصر وشركاته.

وكان الاقتصادي الكبير محمد طلعت حرب قد قرر في سنة 1924 أن يضم النشاط السينمائي إلى الأنشطة المختلفة التي يقوم بها بنك مصر وشركاته. وفي 13 يونيه 1925، صدر مرسوم ملكي، "يرخص لكل من أحمد مدحت يكن باشا، وفؤاد سلطان بك، وعبد الحميد السويفي بك، وإبراهيم بك طاهر، وطلعت حرب بك بتأليف شركة مساهمة مصرية تحت اسم (شركة مصر للتياتيرو والسينما)، وهي إحدى شركات بنك مصر، وحدد رأسمال الشركة بمبلغ (15) خمسة عشر ألف جنيه، قسمت إلى (3750) سهمًا، قيمة كل سهم أربعة جنيهات، ونصيب بنك مصر (2500) سهم".

وقد نشر هذا المرسوم الملكي في جريدة الوقائع المصرية بتاريخ 20 يوليو 1925، ونشرته جريدة الأهرام في اليوم التالي نقلا عنها، وكان هدف الشركة العمل في مجال المسرح والسينما وتركيز الصناعة في أيدي المصريين، واستغلال دور التمثيل والسينما والأفلام، وعمل الأشرطة السينمائية، سواء لحسابها أو لحساب الغير.

وفي هذه الأثناء كان القارئ (محمد كريم) – الذي سيصبح فيما بعد شيخ المخرجين المصريين، وسيحتل مساحة لها مكانتها في تاريخ السينما المصرية والعربية .. كان محمد كريم (29 سنة وقتها) – في ألمانيا يزاول التمثيل، ويحاول الإخراج السينمائي، بل وقبلته نقابة الممثلين الألمانية عضوا بها، ورقم عضويته (444)، فقرأ هذا الخبر في جريدة الأهرام، وفي 8 أغسطس 1925 كان محمد طلعت حرب في برلين بألمانيا، واستطاع مقابلته يوم 12 أغسطس 1925، وقدم له نفسه، فرحب به طلعت حرب، وذكر له أنه متابع لمشواره الفني التمثيلي، سواء في مصر أو في ألمانيا.

وبعد أن عاد طلعت حرب من زيارته لأوربا إلى مصر، قام بتجهيز مكان على شكل مصنع صغير، عبارة عن شقة فوق عمارة مطبعة مصر، رقم 40 بشارع الدواوين، معد بالآت التصوير. وماكينات لتحميض الأفلام وطبعها، وباقي الأجهزة التي يحتاجها العمل السينمائي. وعندما عاد (محمد كريم) من ألمانيا إلى مصر سنة 1927، التحق بالشركة، وعمل في هذا الأستوديو الصغير، وقام بإخراج أفلام قصيرة، وفي نهاية سنة 1928 ترك العمل، عندما وجد أن الشركة لا تعتزم في الوقت الحاضر عمل أفلام روائية طويلة.

ويمكن أن يقال إن صناعة السينما في مصر لم ترسخ إلا في سنة 1927، عندما أسست عزيزة أمير – ممثلة المسرح المعروفة – مع وداد عرفي – الكاتب التركي المقيم في مصر – شركة سينما توغرافية، وكان باكورة إنتاج هذه الشركة فيلم (ليلي) .. وواصلت عزيزة أمير نشاطها السينمائي، بتأسيس شركة (إيزيس فيلم)، فقدمت سنة 1929 فيلم (بنت النيل) .. وأول فيلم روائي قدمه توجو مزراحي هو (الهاوية) في 25 نوفمبر 1930 .. وقد عرض هذا الفيلم في 23 فبراير 1931 على شاشة سينما الكوزموجراف، بشارع عماد الدين بالقاهرة، بعنوان جديد هو (الكوكايين). وأنتج يوسف وهبي فيلم (زينب)، إخراج محمد كريم، وبطولة بهيجة حافظ وسراج منير، وقصه الدكتور محمد حسين هيكل. وهو أول فيلم يتم تصويره وتحميضه وطبعه بالآت شركة مصر للتياترو والسينما، واستغرق العمل فيه حوالي عامين،

وعرض يوم 9 أبريل 1931، وقامت بهيجة حافظ بتأسيس شركة (فنار فيلم)، التي أنتجت (الضحايا)، وهو فيلم يهدف إلى مكافحة تعاطي المخدرات .. وعرض في 25 نوفمبر 1931 فيلم (وخز الضمير)، من إنتاج آسيا، وبطولتها، وإخراج إبراهيم لاما. وقامت شركة مصر للتياترو والسينما بتصويره وتحميضه وطبعه.

أستوديو مصر:

أنشئ أستوديو مصر في منطقة الأهرامات بالجيزة على مساحة 17 فدانًا. ووضع حجر الأساس يوم 7 مارس 1934، وبدئ في التشييد في أغسطس 1934، وأقيم يوم السبت 12 أكتوبر 1935 حفل لافتتاح الأستوديو رسميًّا.

ويعتبر أستوديو مصر أول الأستوديوهات التي عرفتها السينما المصرية، والمزود بأحدث الأجهزة الأوربية، إذا استثنينا (أستوديو النزهة) في الإسكندرية و (أستوديو بيومي) في شبرا بالقاهرة؛ لأنهما ظهرا قبل بداية ظهور أول فيلم مصري، كما توقف نشاطهما بعد عام من إنشائهما.

أما الأستوديوهات التي ظهرت مع بداية ظهور أول فيلم مصري في 1927/11/16، فلم تكن أستوديوهات بمعنى الكلمة، بل كانت أستوديوهات تتماشى وحالة السينما في ذلك الوقت، ومنها: (أستوديو اللفيزي)، الذي أنشأة المصور اللفيزي أورفانللي سنة 1927 في المنشية بالإسكندرية .. و(أستوديو توجو)، أنشأة المخرج توجو مزراحي سنة 1929 في باكوس برمل الإسكندرية .. و(أستويو لاما)، وقد أنشأه الشقيقان إبراهيم وبدر لاما، ثم نقلا نشاطهما إلى القاهرة في حدائق القبة، وظل الأستوديو يعمل حتى توفي إبراهيم سنة 1952 .. و(أستوديو هليوبوليس)، الذي أنشاته عزيزة أمير سنة 1929 بمصر الجديدة .. و(أستوديو رمسيس)، أنشأه يوسف وهبي عند نهاية كوبري الزمالك في إمبابة، على مساحة أربعة أفدنة داخل مدينة رمسيس الضخمة، وكان هذا الأستوديو جاهزًا للتصوير في أول يناير 1932، وبعد ظهور أستوديو مصر أقفل هذا الأستوديو، ثم أنشأ يوسف وهبي (أستوديو وهبي) في الجيزة سنة 1937، واستأجره توجو مزراحي سنة 1939 .. وكذلك (أستوديو الشرق)، الذي أنشأته شركة الشرق في شبرا سنة 1932، وتوقف هذا الأستوديو بعد توقف الشركة عن الإنتاج .. وكذلك (أستوديو لوتس)، أنشأته الممثلة آسيا في الجزيرة

سنة 1933، وبعد ظهور أستوديو مصر انتهى ذكر هذا الأستوديو في نحو عام 1936 .. وكذلك (أستوديو الأفلام الناطقة المصرية) في سنة 1932 في حدائق القبة. ويعتبر أول أستديو به تسجيل الصوت على الآلات التي ابتكرها محسن سابو المجري الأصل، وأحد أصحاب الأستوديو، الذي انتهى العمل فيه سنة 1935.

وكذلك (أستوديو هليوبوليس)، أنشأه كل من (ماربو أبولوني)، و(كارل بويا) في مصر الجديدة سنة 1936، وصور فيه نحو خمسة أفلام، وانتهى ذكره في نحو عام 1940 .. وكذلك (أستوديو كاتساروس) في شارع أبو السباع وسط القاهرة سنة 1934، وظل يعمل بعد ظهور أستوديو مصر وصور خمسة أفلام، عرض آخرها في 1937/4/8، تم تحول بعد ذلك إلى صالة مزادات.

معامل التحميض والطبع وتسجيل الصوت:

كانت الأستوديوهات في الإسكندرية بها معامل للتحميض والطبع. أما في القاهرة فكان يتم تحميض الأفلام وطبعها في شركة مصر للتياترو والسينما، وشركة كوداك، وبعض الشركات الأجنبية الأخرى التي تقوم ببيع الأفلام. وكان لكل شركة منها معاملها الخاصة، وقسم تصوير كامل، يشرف عليه مصور وفنيون أجانب.

وعندما استطاع المهندس المصري محسن سابو المجري الأصل، أن يصنع آلة تسجيل الصوت محليًّا للأفلام السينمائية في مصر في نهاية سنة 1932، انتقلت السينما المصرية من مرحلة الأفلام الصامتة إلى مرحلة الأفلام الناطقة، وأمكن للفيلم المصري أن ينطق في مصر بعدما كان العاملون في السينما. يسافرون إلى فرنسا لتسجيل الصوت، ومعروف أن السينما الناطقة كانت قد رسخت أقدامها في أمريكا ابتداء من عام 1928 - كما سبق عرضه.

وبفضل الفيلم السينمائي الناطق انطلقت صناعة السينما المصرية انطلاقة جديدة. وأول فيلم مصري من هذا النوع هو (أنشودة الفؤاد)، الذي أنتجته (أفلام بهنا)، وجمع نخبة من نجوم التمثيل والغناء في مصر، منهم المطربة نادرة، والملحن زكريا أحمد وجورج أبيض ودولت أبيض وعبد الرحمن رشدي. وألف أغاني الفيلم عباس محمود العقاد. وتم تصويره في باريس، وعرض بالقاهرة عام 1932، ولكن نجاحه كان متوسطًا، وكان أن ترك (أخوان بهنا) الإنتاج السينمائي، وأنشأوا شركة للتوزيع في العالم العربي.

مجلات شئون السينما:

وفي العشرينيات من القرن العشرين الماضي، كانت تصدر في مصر عشرات المجلات الفنية .. وكان الأجانب في مصر يهتمون – حينئذ – بالفن السينمائي؛ مما جعل أحدهم يصدر في الإسكندرية مجلة متخصصة في شئون السينما وأخبارها تحت اسم (سينجراف جورنال)، وكانت شهرية باللغة الفرنسية، وصدر العدد الأول منها بتاريخ أول أغسطس 1919، ومن هذه المجلات أيضًا (سينما)، باللغة الفرنسية (التياترو)، باللغة العربية، و(معرض السينما) باللغة العربية، وأيضًا (الصور المتحركة).

وفي أبريل 1925 نشرت مجلة (الصور المتحركة) صفحة كاملة بعنوان "بنك مصر والصور المتحركة"، أوضحت فيه كيف عرفت مصر بدايات السينما التسجيلية، وإيمان طلعت حرب بأهميتها وخطورتها، ودور (محمد بيومي) نفسه، وتعاونه مع طلعت حرب في هذا المضمار بعد عودته من برلين عام 1927، حيث درس هناك الفن السينمائي عمليًّا وعلميًّا مع كثير من الشركات الألمانية – كما سبق ذكره.

الجريدة السينمائية الناطقة:

يعود الفضل في إنتاج أول جريدة سينمائية ناطقة عرضت على الشاشة، ابتداء من سنة 1935، إلى شركة (مصر للتمثيل والسينما)، وكانت هذه الجريدة نصف شهرية، وهدفها الأساسي عرض أهم أحداث الحياة الرسمية والاجتماعية في مصر والعالم العربي. وكانت الحكومة المصرية تقدم لهذه الجريدة إعانة شهرية، وبعد قيام ثورة 23 يوليو 1952، أصبحت هذه الجريدة أسبوعية، وزادت الإعانة التي كانت تقدم لها إلى أربعة أضعاف .. وكانت تتبادل أخبارها وتحقيقاتها السينمائية مع الجرائد السينمائية العالمية، مثل: فوكس موفيتون نيوز – بارامونت – متروجولدوين ماير.

الحرب العالمية الثانية:

وجاءت الحرب العالمية الثانية لتقطع العلاقة فجأة بين مصر وأوربا، واضطرت السينما المصرية – نظرًا إلى عدم تمكنها من الاستعانة بالخبراء الأجانب – إلى الاكتفاء بالفنيين المصريين، والذين كانوا قد اكتسبوا خبرة طويلة في مختلف فروع الصناعة السينمائية؛ ولذلك فقد نجحوا بلا جهد كبير، في القيام بعملهم على خير وجه، وهكذا لم تتأثر هذه الصناعة من

غياب الأجانب عنها. وأن الممثلين السينمائيين والمطربين العرب الذين لمعت أسماؤهم بفضل ظهورهم في الأفلام السينمائية المصرية كثيرون .. ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية وسحر السينما المصرية والعربية يزداد قوة وجاذبية، إلى الحد الذي دفع عددًا كبيرًا من رجال الأعمال إلى أن يستثمروا جانبًا كبيرًا من أموالهم في هذه الصناعة .. وكان الإنتاج السينمائي في جملته مرضيًا، ويضع مصر في مستوى يسمح لها بأن تشارك في بعض المهرجانات السينمائية الدولية.

السينما وثورة يوليو:

وبعد قيام ثورة 23 يوليو 1952، أولت الحكومة المصرية السينما اهتمامًا كبيرًا، واعتبرتها وسيلة مؤثرة من وسائل الاتصال بالجماهير. ففي أواخر عام 1952، أنشئت مراقبة للأفلام والسينما، ولكن نشاطها توقف عام 1954؛ حيث تكونت في مصلحة الاستعلامات مراقبة الشئون الفنية.

وفي عام 1957، أنشأت الدولة مؤسسة دعم السينما، وتم في عام 1959 إنشاء معهد للسينما، والذي أصبح الآن جزءًا من أكاديمية الفنون، وفي عام 1960 تم تكوين المؤسسة المصرية العامة للسينما، وأنشئ بعد عامين معهد السيناريو. وفي 6 يناير 1963، أدمجت المؤسسة المصرية العامة للسينما مع مؤسسة الإذاعة والتليفزيون، تحت اسم المؤسسة العامة للسينما والإذاعة والتليفزيون.

وبعد هزيمة يونيو 1967، توقف الإنتاج السينمائي في مصر لينتقل إلى دمشق وبيروت، ولكن هذه الهزيمة أفرزت تيار السينما الجديدة بشكل واضح في عدد من أقطار الوطن العربي.. وبعد توقيع المعاهدة بين مصر وإسرائيل في 26 مارس 1979، ومقاطعة الدول العربية لمصر – مر الفيلم السينمائي المصري بأزمة، ولكنه استطاع أن يتغلب عليها؛ بسبب الرواج الاقتصادي الذي عم تلك الفترة .. ومع ذلك فقد طغت السينما المصرية على العالم العربي بدرجة كبيرة، وطبعت المجتمعات العربية بمسحة من الحياة والبيئة المصرية، يحس الباحث بأثرها في النكتة واللهجة والموسيقى والغناء، بل أسلوب الحياة.

السينما في العالم العربي:

كانت **حلب** أول مدينة سورية تعرف السينما، وكان ذلك عام 1908، وفي عام 1912 قام صاحب مقهى في دمشق بعرض بعض الأفلام السينمائية القصيرة. وفي سنة 1916 افتتح

بعض الأتراك دارًا للسينما، سرعان ما شب فيها حريق دمرها. وفتحت بعد ذلك دور للسينما خلال الحرب العالمية الأولى، ويعود إنتاج أول فيلم سوري إلى سنة 1928، وعنوانه (المتهم البريء)، وتكللت هذه المحاولة بالنجاح.

وتعود صناعة السينما في لبنان إلى سنة 1929، وكانت الأفلام محاولات فردية، لم يحالفها النجاح، وأنشئ أول أستوديو في لبنان عام 1933، وبدأ الإنتاج السينمائي اللبناني يرسخ في سنة 1952.

وعرفت **تونس** السينما مع مصر في العام نفسه 1896 قبل غيرها من البلاد العربية .. فبعد أن أعلن الفرنسيون الحماية على تونس في 12 مايو 1881، قام أحد معاوني (الإخوة لوميير) سنة 1896، بتصوير 12 فيلمًا تسجيليًّا عن تونس .. وبعد ذلك بسنة – أي (1897) – تم تنظيم حفلات العرض السينمائية الأولى في مدينة تونس العاصمة. أما أول قاعة عرض سينمائي دائمة، فقد أقيمت في مدينة تونس، كانت قد أسستها شركة (أرمنيا باتيه) سنة 1907.

وتأسست في سنة 1928 شركة الأفلام التونسية. وعرضت تونس السينما الناطقة لأول مرة سنة 1929، وفي السنة نفسها عرفت كذلك أول مجلة سينمائية ناطقة، وكان اسمها (أفلام المجلة السينما توغرافية الأفريقية الشمالية).

وفي **العراق** كان أول عرض سينمائي شاهده العراقيون، بدار سينما (بلوكي) عام 1909، وبدأت (سينما توغراف بغداد) عروضها في عام 1911، في أحد بساتين العاصمة العراقية بغداد .. وأول فيلم ناطق عرض في بغداد هو فيلم (ملك الموسيقى) الغنائي، وكان ذلك في (دار السينما الوطني) في شتاء عام 1931، وأخذ الفيلم الصامت يختفي تدريجيًّا، تاركًا مكانة للفيلم الناطق.

وقد أصبحت العراق بعد الحرب العالمية الثانية سوقًا رائجة للأفلام المصرية، غير أن العراقيين بدأوا يشعرون في تلك الفترة بحاجتهم إلى سينما وطنية، تعكس حياتهم، وتعبر عن أمانيهم، وتدعو لحضارتهم خارج حدودهم.

وأول فيلم عراقي باسم (القاهرة بغداد)، كان إنتاجًا مشتركًا بين مصر والعراق، وقد عرض لأول مرة في مارس 1947. ويعود اهتمام العراق بالسينما جديًّا إلى عام 1959، حين

تم إنشاء (مصلحة السينما والمسرح)، التي أدمجت بعد ذلك بالمؤسسة العامة للإذاعة والتليفزيون عام 1970، غير أنها ما لبثت أن استقلت مرة أخرى عام 1973، وعرفت باسم (المؤسسة العامة للسينما والمسرح).

ويعود اهتمام دولة **الكويت** بالسينما إلى عام 1950، حين تأسس قسم للسينما في وزارة المعارف، لينتقل بعد ذلك في عام 1959 إلى وزارة الشئون الاجتماعية، ثم إلى وزارة الإعلام في عام 1961، كما يوجد قسم للسينما في التليفزيون، تأسس عام 1961. وبعد ذلك انتقل قسم السينما بوزارة الإعلام في عام 1964؛ لينضم إلى قسم السينما بالتليفزيون، ليدخل مرحلة أكثر تطورًا. وفي سنة 1965، تم إنتاج أول فيلم درامي قصير، اسمه (العاصفة)، وأنتجت شركة (أفلام الصقر) عام 1972 أول فيلم روائي كويتي، وهو فيلم (بس يا بحر)، وهو يصف الحياة في الكويت قبل ظهور البترول.

وفي الإمارات العربية المتحدة عرفت دبي أول دار للعرض السينمائي المنتظم سنة 1938، حين افتتحت (سينما الوطن).

وفي **البحرين** عرض أول فيلم سينمائي روائي بحريني في أكتوبر 1990 بعنوان (الحاجز)، وهو دراما اجتماعية، تحاكم مجتمعات دول الخليج النفطية الاستهلاكية.

وعرفت **ليبيا** الإنتاج السينمائي منذ عام 1955، حين قررت حكومتها إصدار جريدة سينمائية. وبعد ثورة الفاتح من سبتمبر 1969، أنشئت في وزارة الثقافة والإعلام إدارة للأفلام، وبدئ في سنة 1979 إنتاج أول فيلم روائي طويل على مستوى الإنتاج العالمي الضخم، تدور أحداثه حول (معركة تافرت)، التي خاضها الشعب الليبي ضد الاستعمار الإيطالي. وفي 21 يوليو 1979 صدر قرار اللجنة الشعبية العامة بإنشاء (الشركة العامة للخيالة)؛ لتصبح الجهة المختصة فيما يتعلق بالنشاط السينمائي وجميع دور العرض في ليبيا.

وفي **الجزائر** بدأت السينما الجزائرية الوطنية فعلا، بعد صدور قانون تنظيم الفن والصناعة السينمائية عام 1969، وكانت الدولة قد أنشأت قبل ذلك بخمس سنوات أرشيف السينما الجزائرية، وهو أكبر وأهم أرشيف سينمائي على الصعيدين العربي والأفريقي.

وقبل حصول **المغرب** على استقلاله عام 1956، كان قد أنشئ فيه عام 1944 مركز للسينما، كان أغلب إنتاجه أفلامًا قصيرة وجريدة سينمائية أسبوعية. أما عدد الأفلام الطويلة المنتجة في المغرب فلا يزال قليلا.

أهمية السينما ومميزاتها وسلبياتها:

مما لا شك أن السينما – وهي وسيلة اتصال جماهيرية سمعية وبصرية – يكاد ينطبق عليها جانب كبير من المميزات والسلبيات التي تنطبق على التليفزيون، وهو وسيلة سمعية وبصرية أيضًا، مع متغيرات قليلة تتناسب مع كل وسيلة من الاثنين، ولا يحتاج الأمر أن نكرر هنا بالنسبة للسينما تفاصيل كل تلك المميزات والسلبيات التي سترد مفصلة عند الحديث عن التليفزيون في موضعه من هذا الكتاب فيمكن الرجوع إليها.

ولكني أسجل هنا الآن بعض مميزات وعيوب السينما التي أعجبتني، وقد حددها لنا طلعت حرب، رائد صناعة السينما في مصر منذ عام 1924، عندما قرر هذا الاقتصادي الكبير أن يضم النشاط السينمائي إلى الأنشطة المختلفة التي كان يقوم بها بنك مصر وشركاته حينذاك، وما زالت تلك المميزات والعيوب التي ذكرها طلعت حرب تناسب وقتنا الحاضر، بالرغم من مرور تلك السنوات الطويلة.

يقول طلعت حرب[1]: إذا كان اختراع السينما قد أدى حاجة نفسية من حاجات البشر، فإنه ككل اختراع له محاسنه وله عيوبه؛ له محاسنه في خلق صناعات جديدة، وفي خلق ميادين للذكاء الإنساني أو الذوق الفني، يعمل فيها بنشاط غريب. وله محاسنه أيضًا في تسلية الناس، والتفريج عن صدورهم بالضحك والسرور، وفي تلقينهم معلومات مفيدة كانوا يجهلونها قبل أن يروها على اللوحة (الشاشة) البيضاء.

وفي وقوفهم على مناظر بديعة للطبيعة والبلدان كان من المتعذر الوقوف عليها بغير عرض الأشرطة المتحركة (الأفلام السينمائية)، وفي إثارة الحماسة في نفوسهم في مواقف الحماسة، وتحبيذ الشجاعة والهمة والمروءة في مواقف الأخلاق الفاضلة.

---

(1) محمد طلعت حرب، رائد صناعة السينما المصرية، مرجع سابق، ص 87 وما بعدها.

ولاختراع السينما من الجانب الآخر عيوبه، فإن الفضائل لا تعرف إلا بمقابلتها بالرذائل، فالشجاعة بالجبن، والمروءة باللؤم، والبراءة بالإجرام، والإحسان بالإساءة، ومن هنا ظهرت على اللوحة (الشاشة) البيضاء المحاسن والأضداد.

فظهرت صورة منحطة من الناس، وأعمال منطوية على خبث نياتهم. وظهرت الجرائم كيف تدبر، والجنايات كيف ترتكب، والجنايات كيف يحيك شباكها الخائنون، فكان لعرض هذه المساوئ تأثيرها السيئ في بعض النفوس الساذجة أو المستعدة للشر، لأي سبب طبيعي، أو خلقي، أو اجتماعي حتى أثارت - في بعض الأحيان - عاطفة الشر منهم، فاندفعوا بعامل التقليد إلى ارتكاب الجرائم، بجرأة مأخوذة تمامًا مما شاهدت العيون على اللوحة (الشاشة) البيضاء. بل قد ترتكب معايب لا تذهب إلى حد الإجرام المعاقب عليه، ولكنها تذهب فقط إلى الحط من الأخلاق دون التعرض لعقاب القانون.

ويضيف طلعت حرب قائلا: ومن أجل الإغراق في عرض هذه الأضداد التي أصبحت المبالغة فيها عيوبًا ظاهرة من عيوب السينما، قررت الرقابة على الأشرطة في معظم البلدان. ومع هذا فإن الرقابة خفيفة في بلاد الغرب، وهي خفيفة بالمثل في بلادنا وهي لو تشددت عندنا في اختيار الروايات لدور السينما، لوجب أن يقضى على معظم ما يرد إلينا من الغرب، وللمؤلف في البلاد الغربية أن يؤلف في أي موضوع يشاء؛ لأن حرية الفكر مطلقة لأهل الغرب. فضلا عن أن الوارد من روايات الغرب، كثيرًا ما يحوي أشياء لا يصح عرضها على الكبار. ولهذا فإننا فكرنا عند تأسيس شركتنا (1924) - ولا زلنا نعتقد - أن الخطة المثلى لمقاومة الفاسد من روايات السينما التي تصل إلينا من الغرب، هو أن تنجح شركتنا في أعمالها المتواضعة التي تزاولها الآن، ثم تكبر وتقوى حتى تكون قادرة على إخراج روايات مصرية ذات موضوعات مصرية، وآداب مصرية، وجمال مصري، تكون في منزلة عالية من الفن، نسمح بعرضها في بلادنا وفي البلاد الشرقية المجاورة، وتكون أقرب لعاداتنا وطقوسنا وأحوالنا الاجتماعية من الروايات الأجنبية التي تكتظ بها دور السينما في الشرق، والتي كثيرًا ما تحوي حوادثها ومناظرها ما لا يتفق مع عاداتنا وآدابنا الشرقية.

ويقول طلعت حرب: وفي الخارج - ولا سيما في أوربا وأمريكا - فإننا نسعى لإقامة روابط مع الشركات المشتغلة بالسينما؛ لعرض أقصى ما يستطاع عرضه في دور السينما

الأجنبية من صورنا المتحركة (أفلامنا) التي نصنعها في مصر. وغرضنا من هذه المساعي في الخارج هو أن تظهر مصر على حالتها الحقيقية.

فإنه من العيب الفاضح أن تأتي شركة كبيرة أجنبية من شركات صنع الأشرطة، ولا تجد في تصوير القاهرة في مجموعة مدن العالم إلا رسم (تصوير) رجل حاو، يلعب بثعبان أمام السياح عند مدخل فندق الكونتنال؛ كأن القاهرة كلها ليس فيها غير هذا المنظر لتصويرنا نحن المصريين في عاصمة بلادنا .. ومن العيب الفاضح أن تستمر الدعاية الفاسدة في الخارج تصورنا في شكل أمة قريبة من حالة الهمجية، حتى أن بعض السياح الذين اجتمعنا بهم أعربوا لنا صراحة أنهم كانوا لا يتصورون مصر كما رأوها، بل كانوا يتصورونها قطعة من شعوب إفريقيا الوسطى.

ومن العيب الفاضح أن يصورنا المغرضون من الأجانب في صورة أمة تفتك بها الأمراض، ويتعرض السائحون فيها للأوبئة؛ حتى يمنعوا السياح من زيارة بلدنا، ولإبقائهم في الشتاء في بلاد أخرى قل أن يبلغ جوها مناعة جونا في مصر خريفًا وشتاء، وشريط الصورة المتحركة (الفيلم) وحده هو الذي ينبغي استخدامه في الغرب للقضاء على هذه الدعاية الفاسدة .. ومن العيب الفاضح أن يصورنا الأجانب المغرضون في الخارج من طينة منحطة عن طينة البشرية المتمدينة، وأن نبقى مكتوفي الأيدي لا نعمل شيئًا لإظهار أن المصري المتمدن كبقية الشعوب، ولإظهار آثاره العملية الماضية والحاضرة في حياته المهذبة.

وشريط الصور المتحركة (الفيلم السينمائي) وحده هو الذي يتحتم استخدام قوته لإظهار الأمة المصرية في صورتها الراقية الصحيحة. ونستطيع استخدام قوة السينما في زيادة التقارب بين مصر وجاراتها الشرقية لمصلحة الثقافة المشتركة والمنافع التجارية المتبادلة.

وكان تأسيس شركة مصر للتمثيل والسينما لتكون من الدعامات القوية عن شركاتنا ومنتجاتنا، فتربط بعضها، وتكون وسيلة حسنة أيضًا من وسائل الإذاعة عن مفاخر بلادنا، ومظاهر تقدمها، ومقدار نشاطها الإنساني في كل نواحي الحياة، مما لإذاعته تأثير مفيد ونفع عظيم، ولا يخفى علينا أن قوة السينما – وخاصة بعد أن أصبحت ناطقة – تفوق في الدعاية والإذاعة والإعلان أي قوة أخرى، وتأثير السينما في هذه الناحية تأثير ناجح وسريع.

***

وننتقل بعد ذلك للحديث عن (الإذاعة التقليدية؛ باعتبارها وسيلة اتصال جماهيرية سمعية، جاءت بعد السينما في الترتيب الزمني التاريخي في نحو عام 1900، وهذا هو موضوع الفصل التالي.

* * *